

الدرس الخامس عشر

معجزات محمد ﷺ السماوية

obeikandi.com



سِحْرٌ مُّسْتَمِرٌّ ﴿٢﴾<sup>(١)</sup>، وقد صادف انتهاء بناء معبد للهندوس في الهند في تلك الليلة فأرخوا اكتمال البناء بليلة انشقاق القمر<sup>(٢)</sup>.

٣- وقف حركة الشمس يوم خيبر وقيل يوم الخندق، ليتمكن علي بن أبي طالب من صلاة العصر، لكن هذا الخبر لم يصح<sup>(٣)</sup> وإنما هو من وضع شيعة علي بن أبي طالب ليزيدوا من تكريمه، في حين أن كرامة علي بن أبي طالب رضي الله عنه عند الله تعالى ثابتة بأحاديث صحيحة، كتبشيره بالجنة، ففي الأحاديث الصحيحة ما يغني عن غيرها.

٤- الإسراء والمعراج، فإن النبي ﷺ بعد عودته من الطائف وقد صده زعماءها حين دعاهم للإسلام، مكروباً إلى مكة، أرسل الله تعالى إليه جبريل عليه السلام ومعه البراق فأسرى بالنبي ﷺ من مكة إلى بيت المقدس ثم عرج به إلى السموات العلى حتى بلغ الجنة، ورأى فيها من آيات الله تعالى ما رأى، ثم عاد إلى بيته ولما يبرد فرائشه بعد، قاطعاً بذلك عالم الفلك وعالم السموات وعالم الكرسي حتى بلغ العرش ذهاباً وإياباً بدون زمن: ﴿سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَا الَّذِي بَرَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنَ الْإِنشَاءِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾<sup>(٤)</sup>.

النوع الثاني: المعجزات السماوية المعنوية: وهي: القرآن الكريم

فالقرآن معجزة النبي ﷺ الكبرى لأنها دائمة إلى قيام الساعة بخلاف المعجزات الأخرى فإنها تنتهي في وقتها، وقد أودع الله تعالى في القرآن دلالات مختلفة على إعجازه ليكون حجة الله تعالى البالغة والمستمرة على البشر في كل زمان وفي كل مكان إلى قيام الساعة.

(١) القمر آية ٢.

(٢) انظر كتاب: الرسول. سعيد حوى ح ٢ ص ٩٤.

(٣) قال فيه ابن الجوزي إنه موضوع، وكذا قال ابن حبان وابن عساكر والدارقطني وابن عدي، وكل الروايات فيه جاءت عن طريق مجهولين وكذابين، كما نص على ذلك ابن كثير في البداية والنهاية ح ٦ ص ٧٧ وما بعدها.

(٤) الإسراء آية ١.

فالقُرآن معجز على المستوى اللغوي وعلى المستوى التاريخي وعلى المستوى التشريعي وعلى المستوى العلمي .

## أولاً: - إعجاز القرآن على المستوى اللغوي: -

اللغة هي وسيلة التخاطب بين الناس، وتختلف الأمم والشعوب في القدرة على التعبير عما في نفس المتكلم من لغة إلى أخرى، ولما كانت اللغة العربية هي أوسع هذه اللغات جعلها الله تعالى لغة القرآن، لأنه عنصر هداية لجميع البشر، وقد أنزله الله تعالى على خاتم الأنبياء والرسل باللغة العربية التي كان العرب يتباهون بها ويرون أن لهم مزيد فضل على الأمم الأخرى: حتى سموا كل من عداهم بالأعاجم .

وقد بلغ من اهتمام العرب باللغة العربية من حيث الفصاحة والبلاغة أنهم أقاموا تجمعات وأسواقاً مهرجانية خطابية شعرية يتبارون فيها بالفصاحة والبلاغة، منها سوق عكاظ وسوق ذي المجنة وسوق المجاز، وقد نزل القرآن بلغتهم التي يعتدّون بها: ﴿بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ﴾ (١٩٥) (١) .

وكان القرآن قد تحداهم بأن يأتوا بمثله فعجزوا، ثم تحداهم بأن يأتوا بعشر سور من مثله فعجزوا، ثم تحداهم بأن يأتوا بسورة من مثله فعجزوا، مع أنه بلغتهم التي ينطقون بها، والسر في هذا الإعجاز اللغوي في القرآن أنه جاء فصيحاً بليغاً بحيث لا يمكن للعرب أن يجدوا في فصاحته أو في بلاغته مأخذاً واحداً مهما قلّ شأنه، لأن هذا القرآن نزل من عند الله تعالى العليم بكل شيء والخبير بما في قرارة النفوس فجاء متطابقاً تمام المطابقة مع مقتضيات الأحوال، ولكن استكبار زعماء المشركين العرب حملهم على التنكر لصدق القرآن وأحقيته، فوصفوه بالسحر لما فيه من تفريق بين المؤمن به والكافر مهما كانت درجة القرابة بينهما: ﴿لَا يَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ أُولَئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ

(١) الشعراء آية ١٩٥ .

وَأَيَّدَهُمْ بِرُوحٍ مِنْهُ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ أُولَئِكَ حِزْبُ اللَّهِ أَلَا إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿٢٢﴾ (١).

وقد أعرب عن العجز عن الإتيان بمثل هذا القرآن العديد من زعماء قريش وكبرائها، كالوليد بن المغيرة وأبي جهل وأبي سفيان والأخنس بن شريق.

## ثانياً: الإعجاز على المستوى التاريخي:

الزمن على ثلاثة أبعاد: ماضي وحاضر ومستقبل، وقد جاءت الأخبار في هذه الأبعاد الثلاثة في القرآن متطابقة مع الواقع والحقيقة، فلولا أنه من عند الله تعالى لتخلف شيء منها.

أما الأخبار الماضية: فقد ورد في القرآن أخبار الأمم السابقة مع أنبيائها ورسلاها، وما آل إليه أمر المكذبين منهم، ولم يحدث قط أن نفى أو استنكر ذلك أحد من هذه الأمم ممن عاصروا النبي ﷺ رغم وجود عامل الجحود والتكذيب فيهم، فدل على أن هذه الأخبار كلها حق وصدق.

وأما الأخبار الحاضرة: فإن خبر أصحاب الفيل كان قد انتشر في الناس بمكة وغيرها من المدن وكان بعض من حضر هذه الحادثة موجوداً وقت نزول الرسالة على محمد ﷺ بعدها، وعندما نزلت سورة الفيل ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَابِ الْفِيلِ﴾ (١) ﴿أَلَمْ يَجْعَلْ كَيْدَهُمْ فِي تَضَلُّلٍ﴾ (٢) ﴿وَأَرْسَلَ عَلَيْهِمْ طَيْرًا أَبَابِيلَ﴾ (٣) ﴿تَرْمِيهِمْ بِحِجَارَةٍ مِنْ سِجِّيلٍ﴾ (٤) ﴿فَجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ مَأْكُولٍ﴾ (٥) (٢) لم يستنكر أحد منهم شيئاً مما ورد في هذه السورة، فدل على صدقها، لمطابقتها للواقع باعتبار أنهم.

وأما الأخبار المستقبلية: فقد ورد في القرآن منها الكثير، من ذلك:

١- إخبار القرآن عن حفظه وسلامته من التحريف والمماثلة ﴿وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِثْلِهِ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ

(١) المجادلة آية ٢٢.

(٢) الفيل آية ٥.



به، قال تعالى ﴿الْعَرَبُ﴾ ١ ﴿غَلَبَتِ الرُّومَ﴾ ٢ ﴿فِي آذَنِي الْأَرْضِ وَهُمْ مِنْ بَعْدِ غَلِبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ﴾ ٣ ﴿فِي يَضْعُجِ سِينِيكَ﴾ ٤ ﴿لِلَّهِ الْأَمْرُ مِنْ قَبْلُ وَمِنْ بَعْدُ وَيَوْمَئِذٍ يَفْسَحُ الْمُؤْمِنُونَ﴾ ٥ ﴿يَنْصُرِ اللَّهُ يَنْصُرُ مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ﴾ ٦ (١).

٦- أخبر القرآن عن انتصار المسلمين على المشركين الذين ستنهار دولتهم في مكة وغيرها ﴿هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ﴾ (٢) وتحقق ذلك في مكة سنة ثمان للهجرة ﴿وَرَأَيْتَ النَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللَّهِ أَفْوَاجًا﴾ ١ ﴿فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَأَسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا﴾ (٣).

### ثالثاً: - الإعجاز على الصعيد التشريعي: -

القرآن يشتمل على آيات فيها أوامر ونواهي، الهدف منها تقويم حياة الناس واصلاحها في علاقاتهم على اختلافها، وقد جاءت هذه الأوامر والنواهي ملبية حاجة الإنسان بصورة تامة وكاملة لأنها صادرة عن علم الله تعالى: ﴿لَكِنَّ اللَّهَ يَشْهَدُ بِمَا أَنْزَلَ إِلَيْكَ أَنْزَلَهُ بِعِلْمِهِ﴾ (٤).

وقد جاء الإعجاز التشريعي في القرآن من وجهين:

الوجه الأول: أن آيات التشريع جاءت منسجمة مع فطرة الإنسان في هذه الحياة لكونها تعالج سلوكه من خلال الطبائع التي خلق عليها، كطبيعة حب الحياة، فقد استخدم الشرع هذه الطبيعة في منع الناس من التعدي على حياة بعضهم بعضاً فأوجب قتل القاتل، كما استخدمت هذه الشريعة طبيعة حب السلامة المغروزة في نفس الإنسان لمنع تعدي الناس على أبدان بعضهم بعضاً، تعدياً كلياً بالقتل أو جزئياً بالجرح، فأوجبت إنزال عقوبة مماثلة لفعل الجاني فيما فعله بالمجني عليه كما قال تعالى: ﴿وَكُتِبْنَا عَلَيْهِمْ فِيهَا أَنْ النَّفْسَ بِالنَّفْسِ وَالْعَيْنَ بِالْعَيْنِ وَالْأَنْفَ بِالْأَنْفِ وَالْأُذُنَ بِالْأُذُنِ وَالسِّنَّ بِالسِّنِّ وَالْجُرُوحَ فِصَاصٌ﴾ (٥)، فمتى عرف الجاني أنه سينزل

(١) الروم آية ٥.

(٢) الصف آية ٩.

(٣) النصر آية ٣.

(٤) النساء آية ١٦٦.

(٥) المائدة آية ٤٥.

فيه من العقوبة مثل ما أنزله في المجني عليه انكف عن ذلك بدافع حب السلامة والبقاء.

**الوجه الثاني:** أن هذه الأحكام التشريعية جاءت منسجمة بعضها مع بعض بحيث لا يتناقض حكم فيها مع مقتضى حكم آخر كما قال تعالى: ﴿أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ أَلْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا﴾ (١).

وقد حمل هذا الانسجام في تشريعات القرآن بين الفطرة البشرية وبين الأحكام التشريعية كثيراً من المستشرقين على الدخول في هذا الدين والدعوة إليه بعد أن كانوا يدرسونه للطعن فيه والتفجير عنه.

#### رابعاً: - الإعجاز على الصعيد العلمي: -

يشتمل القرآن على العديد من الآيات التي تتضمن الإشارة إلى سنن كونية كانت خافية على الناس وقت نزول القرآن، وجعلت تنكشف مع اتساع العلم بمرور الزمن لتكون هذه الآيات معجزة مستمرة ومتجددة تدعو إلى الإيمان بالقرآن إلى قيام الساعة، من هذه الآيات: -

**أولاً:** - الإشارة إلى كروية الأرض في قوله تعالى: ﴿يُكْوِّرُ الْقَبْلَ عَلَى الْغَدَاةِ وَيُكْوِّرُ الْقَبْلَ عَلَى الْغَدَاةِ﴾ (٢)، فإن مقتضى التكوير أن يكون المكور عليه كروياً.

**ثانياً:** الإشارة إلى دوران الأرض في قوله تعالى: ﴿وَتَرَى الْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِيَ تَمُرُّ مَرَّ السَّحَابِ صُنِعَ اللَّهُ الَّذِي أَنْفَقَ كُلَّ شَيْءٍ﴾ (٣) فإن الجبال ثابتة على الأرض، ومقتضى كونها تمر مر السحاب أن الأرض تدور بما عليها من الجبال التي تنتقل في هذه الحالة كما ينتقل السحاب.

**ثالثاً:** - الإشارة إلى توازن الأرض وذلك في قوله تعالى: ﴿وَأَلْقَى فِي الْأَرْضِ رَوَاسِيَ أَنْ تَمِيدَ بِكُمْ﴾ (٤)، أي لكي لا تميد بكم ولا تضطرب، لأن هذه الجبال ذات

(١) النساء آية ٨٢.

(٢) الزمر آية ٥.

(٣) النمل آية ٨٨.

(٤) لقمان آية ١٠.

أوزان هائلة منتشرة على أماكن مختلفة في الأرض لإيجاد التوازن بين أجزائها، فلا يشعر الساكنون فيها بحركتها الدائرية والمحورية بسبب ذلك التوازن الدقيق.

رابعاً: - الإشارة إلى الضغط الجوي وذلك في قوله تعالى: ﴿فَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ وَمَنْ يُرِدْ أَنْ يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقًا حَرِّبًا كَأَنَّمَا يَصْعَقُ فِي السَّمَاءِ﴾<sup>(١)</sup>، فإن ضيق التنفس بسبب قلة الأكسجين مع الارتفاع في طبقات الجو العليا لم يكن معروفاً وقت نزول القرآن، وإنما عرفه الإنسان بعد اختراع وسائل النقل الجوي حيث يضيق التنفس بركاب الطائرة كلما زاد ارتفاعها حتى يضطروا إلى استخدام التنفس الصناعي باستعمال كامات الأكسجين الذي لا يبقى له وجود في الطبقات العليا من الغلاف الغازي المحيط بالأرض.

خامساً: - الإشارة إلى أن الزوجية التي هي سالب وموجب أصل كل شيء سواء في عالم الجماد أو النبات أو الحيوان، قال تعالى: ﴿وَمِنْ كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾<sup>(٢)</sup>، فإن الزوجية لم تكن معروفة في عالم الجماد إلا بعد تطوير وسائل الرؤية لدى الإنسان باختراع المجاهر المكبرة للأشياء مئات وألوف المرات، فتبين أنها مبنية على هذه القاعدة.

سادساً: الإشارة إلى أن الماء أصل الحياة وعمدة الحضارات في قوله تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَرِ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ كَانَتْ رَتْقًا فَفَتَقْنَاهُمَا وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ أَفَلَا يُؤْمِنُونَ﴾<sup>(٣)</sup>، فلولا الماء ما كان نبات، ولا كان حيوان، ولا كان إنسان، ولا كان عمران، قال تعالى: ﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَصْبَحَ مَاؤُكُمْ غَوْرًا فَمَنْ يَأْتِيكُمْ بِمَاءٍ مَعِينٍ﴾<sup>(٤)</sup>.

(١) الأنعام آية ١٢٥.

(٢) الذاريات آية ٤٩.

(٣) الأنبياء آية ٣٠.

(٤) الملك آية ٣٠.